

أَنَّ عَمَلَهُ كَمَنْ

التقريظ والانتقاد

﴿ كتاب دلائل التوحيد ﴾

نقد من الله تعالى على دمشق الشام بالشيخ محمد جمال الدين الهاسي ليكون فيها واسطة من وسائط الانتقال، وحلقة من حلقات الاتصال، بين الماضي الذي قد تدهور فيه المسلمون من عدة قرون، وبين المستقبل الذي يشده المتبصرون، ويسعى إليه المصلحون، فهو بصير في العلوم الإسلامية المتداولة في العصر، متطلع إلى ما يتجدد من المطبوعات العربية في كل عصر، مجيد في الانتقاء من رديتها والانتقاء من جيدها، حريص على الاستفادة منها والإفادة بها، وهو يدرس ويطلع، وينسخ ويصحح، ويصنف وينشر وآخر ما وصل إلينا من مؤلفاته المطبوعة كتاب (دلائل التوحيد) في الكلام ألفه في سنة ١٣٢٥ وطبع في سنة ١٣٢٦ وهو في أسلوبه ومباحثه، صدق ما قلناه أننا في وصف مؤلفه، لم يقنديه المتكلمين كالسنوسي وواضي الشروح والحواشي لعقائده ومن حاكاه من المتأخرين الذين صارت كتبهم كالنجد بتلاوتها، على علاقتها وعدم كتابتها، ولم يستقل بجميع مسائله بنفسه، وبجمله خلوا من كلام غيره، بل أورد فيه زبدة مما طالع في كتب أساطين المتقدمين من الفلاسفة والمتكلمين كابن مسكويه والنصير الطوسي والفارابي وابن رشد والراغب والغزالي والعز بن عبد السلام وابن حزم وابن تيمية وابن القيم والقاضي عياض والماوردي وجمال الدين الخوارزمي والمرغني البهائي صاحب إشارات الحق، والمتأخرين كالأستاذ الإمام ولكنه لا يذكره باسمه ولا بهذا القالب الذي اشتهر به وإنما يشير إليه بكلمة «حكيم»، أو حكيم من المتأخرين. وقد نقل أيضا عن الناشر ولم يسمه ولا ذكر اسم صاحبه بل يشير إليه ببعض الألقاب

كما فعل في الهامش بعد سوق الدليل العشرين . وما ذلك إلا لأن اسم الشيخ محمد عبده أو محمد رشيد رضا أو المنار كانت في زمن السلطان عبد الحميد تحرب الديار ، وتسوق الى البوار ، أما مقاصد الكتاب بالأجمال فهي كما كتب المؤلف في طرته « الخطبة في فضل إقامة البراهين لتأييد أصول الدين ثم تهديدات في سر معرفة التوحيد وما يتأخذه الأيمان من الايقان وفي تمثيل انحاء الباطل لظهور آية الحق ، وفي ان النظر قانون الاستدلال وفي غير ذلك » ثم مطالب الكتاب وهي أربعة : المطلب الأول في الأدلة الواضحة على « وجود الله تعالى » وهي خمسة وعشرون دليلاً وفي طلبها فوائد جمة ، المطلب الثاني في تحقيق مسائل من العلم الإلهي كاستحالة اكتناه ذات الخالق تعالى وبطلان الحلول والاتحاد وغيرها ، المطلب الثالث في المادة وشبه الماديين وإبطالها جميعاً بالحجج القاطنة وفي مقالات من الطبيعيين تقرب من الثلاثين ، المطلب الرابع في مسائل من علم النبوات كآيات النبوة واثبات الخوارق علماً وبيان المنه على العالمين بيعة خاتم النبيين وكون القرآن أعظم الخوارق وبيان خصائصه عليه السلام وفضائله وشرف أخلاقه وشماله المريدة لنبوته والبرهنة على عموم رسالته ثم الخاتمة في فائدتين « اهـ .

وصفحات الكتاب متان بل تزيد ، ولم يتيسر لنا الا مطالعة القليل منه ، فسي ان يكون عززاً لتقليد المقلدين ، ومرقاة لاستقلال المستمدين ، وعن النسخة منه ثمانية قروش

﴿ العقائد الدينية . للناشئة الإسلامية ﴾

كسب وجيز للشيخ محمد عبد اللطيف خضير من علماء دمياط طبعه في هذا العام واهدانا نسخة منه ورغب اليها بيان رأينا فيه عند ما تسمح لنا الفرصة بمطالعة شيء منه فنقول إننا رأينا فيه شيئاً من المعنى الذي أشرنا اليه في تعريف الكتاب الذي قبله من حيث عدم التزام أسلوب وترتيب العقائد المتداولة كسرد الصفات العشرين (التي جعل السنوسي مدار عقيدته عليها) ونحو ذلك ولكنه على عدم التزام ذلك لم يخرج عنه بالمرّة . ولعل سهولة فيما استقل فيه فبدأت دوقارب وجاء بعض مسائل ودلائل

نظرية تملو على افهام الناشئين الذين وضعه لهم ولولا رجوعه في ذلك الى بعض الكتب المتداولة. لكان يسهل عليه ان يأتي بما هو اسهل منها واقع أوليت اقبامه من كتب المتقدمين كان كله كاتباسه من رسالة التوحيد . وجملة القول انه من احسن ما كتب لتعليم المبتدئين وثنى النسخة منه قرش واحد وهو يطلب من المكتبة العمومية بدمياط فمضى ان يتال ما استحقه من الرواج والانتشار

﴿ تحفة الانام . في مختصر تاريخ الاسلام ﴾

ألف هذا التاريخ في أواخر حياته الشيخ عبد الباسط الفانخوري مقني بيروت رحمه الله تعالى وهو يشتمل على مقدمة وجيزة في أصل العرب وجزيرتها وظهور النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أربعة أبواب في الخلفاء الراشدين وفي الأمويين والعباسيين والصفويين . وفي الكلام على سلطنة محمود الثاني يذكر حادثة ابراهيم باشا المصري وغيرها من الحوادث الكبيرة ومسألة الوهاية كما يذكر في أخبار سلطنة عبد الحميد حرب القرم وحادثة جده وحادثة لبنان . وهو مختصر ليس في الايدي مثله ولا ما يقني عنه فمضى ان يتم نشره . ويباع في مصر بمكتبة المنار مجلداً تجليداً بيروتاً بمائة قرش مصرية . ومن أراد عدداً كثيراً منه فليطلبه من المكتبة الاحلية ببيروت

واتنا نقل هنا كلامه في الوهاية قال رحمه الله تعالى ما نصه :

« ثم في غضون ذلك ظهرت الطائفة الوهاية في بلاد نجد واستولوا على مكة المكرمة والمدينة المنورة وباقي بلاد الحجاز حتى قاربوا بلاد الشام من جهة دمشق وهم قوم كثيرون من عرب نجد اتبعوا طريقة الشيخ عبد الوهاب (؟) وهو رجل ولد في الدرعية بأرض العرب من بلاد الحجاز طلب اولاً العلم على مذهب ابي حنيفة في بلاده ثم سافر الى اصفهان واخذ من علمها حتى اتسعت معلوماته في فروع الشريعة وتفسير القرآن الكريم ثم عاد الى بلاده سنة (١١٧٠) ثم ادته الميته الى الاجتهاد فانشأ مذهباً مستقلاً وقرره لتلامذته وشاع أمره في «نجد» و«الاحساء» و«القطيف» و«عمان» و«بني عتبة» من ارض «اليمن» ولم يزل أمرهم شائعاً ومذهبهم متزايداً

وجاعثهم تكثرت الى أن صدرت الارادة السنية الى محمد علي باشا عزيز مصر بقتال وودع هذه الطائفة خوفا من انتشار شرهم في البلاد الاسلامية فاطفأ سراجهم وبدد شملهم واخفى ذكرهم وقد توفي زعيمهم سمود سنة (١٢٢٩) فساد الأمن في طريق الحج وبهذه السنة حج محمد علي باشا بعد ان لم يكن احد يتمكن من اداء هذه الفريضة وهناك رسالة من كلامهم تدل على مذهبهم واعتقادهم :

اعلموا رحمكم الله أن الخليفة ملة ابراهيم أن نصب الله مخلصا له الدين وبذلك امر الله جميع الناس وخلقهم له كما قال تعالى (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) فإذا عرفت أن الله تعالى خلق العباد للعبادة فاعلم أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة كما قال تعالى : (ما كانت للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون) . فمن دعا غير الله طالبا منه ما لا يقدر عليه الا الله من جلب خير أو دفع ضرر فقد اشرك في العبادة كما قال تعالى : (ومن اضل ممن يدعو من دون الله لايستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون) وإذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) وقال تعالى (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطير) ان تدعوهم لا يسمعون دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير) فاجبت تبارك وتعالى أن دعاء غير الله شرك ، فمن قال يارسول الله أو يا ابن عباس أو يا عبد القادر زاعما أنه باب حاجته الى الله وشفيقه عنده ووسيلته اليه فهو المشرك الذي يهدر دمه وماله الى أن يتوب من ذلك وكذلك الذين يحلفون بغير الله . أو الذي يتوكل على غير الله أو يرجو غير الله أو يخاف وقوع الشر من غير الله أو يلجئ الى غير الله أو يستعين بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فهو ايضا مشرك وما ذكرنا من أنواع الشرك هو الذي قاتل رسول الله المشركين عليه وامرهم باخلاص العبادة كلها لله تعالى ويصح ذلك أي التشبع عليهم بمعرفة اربع قواعد ذكرها الله في كتابه

(أولها) ان يعلم أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله يقرون ان الله هو الخالق الرزاق الهني المسبب المدير لجميع الأمور والدليل على ذلك قوله تعالى : قل من يرزقكم من

السما والارض أمن ملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فيقولون الله قل افلا تتقون » وقوله تعالى « قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون » يقولون لله قل افلا تذكرون » قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم » يقولون الله افلا تتقون » قل من يده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون » يقولون الله قل فاني سمعرون » - اذا عرفت هذه القاعدة واشكل عليك الامر فاعلم انهم بهذا اقروا ثم توجهوا الى غير الله يدعون من دون الله فأشركوا

(القاعدة الثانية) انهم يقولون ما نرجوهم الا لطلب الشفاعة عند الله يريد من الله لا منهم ولكن بشفاعتهم - وهو شرك والدليل على ذلك قول الله تعالى : (ويبعدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون) وقال الله تعالى : (والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار) واذا عرفت هذه القاعدة فاعرف :

(القاعدة الثالثة) وهي ان منهم من طلب الشفاعة من الأصنام ومنهم من تبرأ من الأصنام وتعلق بالصالحين مثل عيسى وأمه والملائكة والدليل على ذلك قوله تعالى : « أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذوراً » ورسول الله لم يفرق بين من عبد الأصنام ومن عبد الصالحين في كفر الكل وقاتلم حتى يكون الدين كله لله . واذا عرفت هذه القاعدة فاعرف :

(القاعدة الرابعة) وهي انهم يخلصون لله في الشدائد وينسون ما يشركون والدليل عليه قوله تعالى : (فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون) وأهل زماننا يخلصون الدعاء في الشدائد لقبير الله ، فاذا عرفت هذا فاعرف ان المشركين في زمان النبي أخف شركاً من هؤلاء مشركي

زماننا لأن أولئك يخلصون لله في الشدائد وهوؤلاء يدعون مشايخهم في الشدائد
والرخاء والله أعلم بالصواب ، اهـ

وهذه الرسالة والقواعد التي أسبها ذلك الشيخ لا شبهة فيها لأن هذا هو
الدين الذي جاء به النبي والانباء من قبله صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ،
لكن هذا الشيخ لم يتحقق ولم يحقق هذه المسألة ، وأتبعه قومه من بعده فأفراطوا
وفرطوا وقصروا حتى تولد منهم بسبب هذه القواعد تقيص وتخصير ما عظمه الله
وأمرنا بتعظيمه وعيته وتوقيره وقاسوا المسلمين المخلصين في التوحيد بالمشركين حتى
قاتلوا المسلمين في أفضل البقاع واستحلوا دماءهم وأموالهم كما وان أكثر العوام من
جهالة المسلمين قد نالوا وأفراطوا وابتعدوا بدعاً تخالف المشروع في الدين القويم
فصاروا يمتدنون على الأولياء الأحياء منهم والأموات معتقدين ان لهم التصرف
وبأيديهم النعم والضرر ويخطبونهم بخطاب الربوبية وهذا غلو في الدين القويم وخروج
عن الصراط المستقيم وقد ورد في الحديث المرفوع: (دين الله تعالى بين العالي والمنخفض)
وهنا شيء لا بد لك من معرفته وهو أن الحب لله وفي الله والحب مع الله
ينها فرق من أهم الفروق وعنه تعلم جهل وخطأ الرواية وشيخهم فإن الحب لله وفي
الله هو من كمال الإيمان في الله والحب مع الله هو الشرك المنهي عنه وقتلهم عليه
النبي صلوات الله وسلامه عليه ، والفرق بينهما أن الحب في الله والله تابع لما يحب الله
كحب الرسل والملائكة والأولياء والعلماء والكعبة والمدينة وبيت المقدس لأن الله
يحبهم ويجب من بحبهم ويعظمهم ، والحب مع الله على نوعين نوع يمدح في
أصل التوحيد وهو شرك كعبادة الأوثان والأصنام والأنداد من الشركين لأنهم
عظموا وأحبوا مع الله ما يفضله الله ، والنوع الثاني يمدح في كمال الاخلاص
 والتوحيد ومحبة الله ولا يخرج عن الاسلام كحبة ما زينه الله للنفوس في النساء
والبنين والذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحراث فان محبتها طبيعية ومحبة
شهوة كحبة الجائع للطعام والظمان للماء فان أحبها الله ليتوصل بها اليه واستغاثه على مرضاته
وطاعته كانت من قسم الحب لله وفي الحديث «حبيب الى من دنيا كم النساء
والطيب» وان أحبها لمواظفة طبعه وشهوته وهواه كانت من المباحات لكن يتعسر من

كأن محبة لله والمحبة فيه وإن كان حبه لها مراده ومقصوده . وقد بنا على ما يحبه الله ورضاه منه كان ظالما لنفسه متبعا لهواه فالأول محبة السابقين والثانية محبة المتصدين والثالثة محبة الظالمين فتأمل ذلك وما فيه . فإنه منترك النفس الأمارة والمطمنة والله تعالى يوفقنا وإياك والسلام . اهـ ولم يذكر مثلا للحب مع الله وكأنها كتفى بما عزاهته إلى أكثر عوام المسلمين من الفلأ في الصالحين وحبهم لهم كحب الله وهو عين ما ينكره الوهاية وما الظن أنهم كانوا يتهمون بذلك جميع أفراد المسلمين ، والأكثرنا مجانين

رسالة المحبوب . من باب الانتقاد على النار

أرسل لنا بعض علماء تونس رسالة كان كتبها رجل اسمه السيد عمر المحبوب التونسي في الرد على الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي في زمنه وطلب منا ان نرين رأينا فيها ، فنصفحنها هي وما ألق بها في نحو من نصف ساعة فلم نجد فيها شيئا يزيد على ما تلوكه العامة في هذه المسائل وعلمنا من الذيل الذي ألق بها انها طبعت معه بعد الحادثة التي وقعت معنا بدمشق في آخر رمضان من السنة الماضية لتكون ردا علينا فيما شاع من أن سبب تلك الفتنة تأييدنا لمذهب الوهاية . فإرحنا لهؤلاء الجبناء المساكين الضعفاء الذين تهبهم الأكاذيب إلى إظهار جهلهم وطاعة انفعالهم العدائية لمن هو لهم صديق غير عدو وإن كانوا لا يميزون

قد علم انخاص والعام ان حادثة الشام لم تكن مقاومة لمذهب الوهاية ولا انتصارا للسنة النبوية وإنما كانت انتصارا للاستبداد على الدستور ، وإثارا للظلمات على النور ، وإن خطبي قدتها الشيخ عبد القادر الخطيب والشيخ صالح التونسي قد حاولا مع رؤسائهما من مدبري تلك الفتنة إثارة فتنة اعظم منها باسم الاسلام اذ نشرواتك الجمعية الفسادية التي اطلق عليها (توحيها وخداعا) اسم الجمعية المحمدية ، لذلك احتفيا عن الانظار ، ووليا الأديار ، لانصر الله الدستور ، وخذل القروء ، وأنشأت الدولة العلية بما كرمها الفتنة ، الذين كانوا يحرضون على الثورة ، ثم ظهر الخطيب فاستنطق ورفع أمره إلى الأستانة . ومعلوم ان صالحا التونسي من دعاة ابي الهدي دجال عبد الحميد اللذين كفى الله المسلمين شرهما (والعاقبة للمتقين)

واننا ندعو صاحب الذيل الطويل لتلك الرسالة هو وجميع من على رأيه من

عليه تونس الى المناظرة نجوا فيما يزعمون ان المنار أخطأ فيه بأن يدكروا المسألة التي يزعمون انها خطأ والدليل من الكتاب والسنة وكذا الاجماع والقياس على ذلك مع التصريح بأسائهم ونحن نحيب عن اقوالهم ونجمل اهل العلم والفهم في المشرق والمغرب حكما بيتا وبينهم . وانما نشترط ان يصرحوا بأسائهم لتعلم قيمة الحق منهم والمبطل في الحال ، ويحفظ التاريخ ذلك لاعتابهم في الاستقبال ،

على ان صاحب الذيل المشار اليه لم يذكر وراء مسألة الاجتهاد من خطأ المنار الا مسألة تطهارة العطر الافرنجي والكحول وكذا ما سماه تحليل مقنونة المنق والمضروبة على الرأس وليس التبعة الافرنجية - المسائل الثلاث التي كانت موضوع فتوى الاستاذ الامام مندسين فان فرضنا ان ما كتبه المنار فيها كان خطأ فليدلوها على كتاب من كتب الفقه او الحديث أو التفسير ليس فيه مسائل كثيرة متقدمة مخالفتها للكتاب أو السنة أو لما وجهه العلماء الآخرون المخالفون لأولئك المؤثرين لما في اجتهادهم او فهمهم

اذا كان صالح التونسي وعبد القادر الخطيب الدمشقي قد تصديا لفترة بدمشق يباعث السياسة وهما ييطان انهما باعيان مخططان فيحتمل ان يكون احمد جمال الدين صاحب ذيل هذه الرسالة حسن النية لشيء من العذر مجمله . وهل يرجي من مثله ان يفهم دقائق مباحث المنار الاجتهادية وهو الى اليوم لم يفهم معنى العبادة بل اتبع فيها الشيخ المحجوب الذي لم يعرف كيف كان اساس دعوة الاسلام النهي عن عبادة غير الله تعالى الى عبادته وحده كما نيفته قريبا ؟ فكيف يتكلم في مثل شيخ الاسلام ابن تيمية الذي لم يسمع الزمان له بنظير

اما رسالة الشيخ المحجوب فليس فيها شيء الا وقد سبق لنا تحريرها في المنار ولا يفهم العامة وروؤسائهم من أصحاب العمام من اعادة القول في يات مواضع الخطأ فيها الا ان المنار يتصر لوهاية ، على ذلك الشيخ الذي ينسب الى ما لا يفهمه من السنة السنية ، وما كان المنار ليتصر لمذهب من المذاهب او تعصب لثمة الفئات . انما يؤيد الكتاب والسنة ويحكمها في اقوال المتقدمين والمتأخرين . وأما أمثال هذا المفترض المسكين فان قصارى علمه ان يحفظ كلمات من بعض شيوخه المعاصرين او المؤثرين المتأخرين الذين ليس لا كثرهم من العلم الا نسخ كتب القدماء ، مع زيادات يستميلون بعضها العامة وبيعها الآخر الملوك والأمراء ،

يظهر ان الشيخ المحجوب كان ممن يعبر عنهم بالأدباء ، ولم يكن من العلماء ، فقد ظهر في رسالته تشهيره في الهجاء والشتم ، وقصوره في مسائل الدين والعلم ، وهو لم يذكر في رسالته كلام خصمه ، فيوازن بينه وبين رده ، فنكتفي إذا بالإشارة إلى بعض خطاه وضعفه ، ليعلم انه لا يوثق بعلمه ، مع عدم تعرض خطا خصمه وصوابه ، قال في (ص ٤) في رد انكار خصمه ما نقله المامة عند قبور الأولياء والصالحين عن الاستغناء والتوسل والتعظيم « معاذ الله ان يعبد مسلم تلك المشاهد ، أو أن يأتي إليها معظماً لما تعظيم العابد ، أو أن يخضع لها خضوع الجاهلية للاصنام ، وان يبدعها بركوع أو سجود أو صيام . » وتقول ان هذا القول ينل على ان المحجوب لم يكن يعرف الواقع الذي عليه الجهم الفخير من العامة أو انه يعرفه ويقول غير ما يعلم ، وانه لا يفهم معنى العبادة بل يتوهم انها عبارة عن الصلاة والصيام وسائر التكاليف الشرعية فقط كما قال مقلده صاحب الذيل في (ص ١٩) في قوينة رده: «وما دري (أي ابن عبد الوهاب) ان العبادة الشرعية هي التكاليف التي اشتملت عليها الشريعة سواء كانت مقولة المعنى أو نمادية » وقد جهل صاحب الذيل كصاحب الاصل ان أول شيء دعا اليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو ان يعبد الله وحده وان لا يعبد سواه . دعا إلى ذلك قبل ان تشرع التكاليف العملية من الصلاة والزكاة والصيام فهل يصح ان يقال ان المراد بالنهي عن عبادة غير الله تعالى هو ان تكون التكاليف التي سنشع بالتدريج خاصة بالله تعالى؟ هل يصح ان يكون معنى العبادة شيئاً لم يكن مروقاً ولا مشروعاً ؟؟ يا حسرة على المسلمين ، الذين ابتلوا بأمثال هؤلاء الموتفين على ان أمثال هؤلاء الضمائم يندرون إذا جهلوا معنى العبادة لأن من كانوا يستطيعون تحديد الحقائق من العلماء عدوا معنى العبادة من البديهيات فلم يهتموا ببيانها ولذلك لم يشتهر عنهم قل في تحديده . وأما الأقوال المشهورة فيه عن الفخرين وغيرهم فليست حدوداً بل لا يبلغ بعضها ان تكون رسوماً تامة أو ناقصة وقد بينا ذلك مرات كثيرة ومنه ان أعظم مظاهر العبادة الدعاء وفي حديث البراء عند أحمد وابن أبي شيبة وأصحاب السنن « الدعاء هو العبادة » وفي رواية ضعيفة للترمذي من حديث أنس « الدعاء : مع العبادة » وهل يكابر أحد في دعاء الألوفا والملايين من عامتنا الموتى من

الصالحين إلا إذا كان لا ينجل من إنكار المحسرات؛ لأنهم لا ينكرونه ولكنهم يؤولونه لم بانهم لا يقصدون به العبادة وإنما يقصدون التوسل !! الفاظها لو كونها ولا يفهمونها ، الرسول صلى الله عليه وسلم يقول «الدعاء هو العبادة» أي هو الفرد الأعظم من أفرادها ، والركن الأكل من أركانها كقولها «الحج عرفة» فتجو بزده غير الله كتجويز الصلاة لغير الله بدعوى عدم قصد العبادة وتسميتها توسلا أو ما يشاء أهل التأويل من الأسماء قال المحجوب (ص ٤) «وأما ما جنحت إليه» وعولت في التفكير عليه ، من التوجه إلى الموتى ، وسواهم النصر على المداء ، وقضاء الحاجات ، وتفريج الكربات ، التي لا يقدر عليها الأرب الأرضين والسماوات ، إلى آخر ما ذكرته موقدا به نيران الفرقة والشات ، قدأخطأت فيه خطأ مينا ، وابتغيت فيه غير الإسلام دينا ، فإن التوسل بالخلق مشروع ، ووارد في السنة القوية ليس بمحظور ولا ممنوع ، ومشارع الحديث الشريف بذلك بفضة ، وأدلة كثيرة محكمة ، تصيق المارق عن استقصائها ويكل البراع إذا كلف باحصائها ، ثم ذكر أثر استسقاء عمر بالعباس (رضي الله عنهما) وحديث طلب عمر الدعاء من أوبس القرني ، ومسألة الشفاعة ، والوهاية لا ينكرون أثر الاستسقاء ولا الدعاء ولا الشفاعة ، وتب ابن نيمية التي هي عمدتهم في هذا الباب مثبتة لهذه المسائل مينة لما أتم يان وهم محتجون بها على الذين يدعون أصحاب القبور فيقولون أن عمر والصحابة لم يدعوا العباس أن يسقهم الغيث كما يدعو جمهور عانتنا الاموات ان يقضوا لهم حاجاتهم . وإنما كان توسلهم بالعباس هو جعله اماما لهم في الاستسقاء فصلى بهم ودعواهم آمنوا على دعائه ويقولون انه ورد فيه ان عمر رضي الله عنه قال : اللهم انا كنا نتوسل اليك بيننا وانا نتوسل اليك هم نينا فاسقنا ، وهذا دليل على ان الميت لا يتوسل به وان كان حيا عند الله تعالى . وأقول ان المسألة ليست عن باب ما يسمونه اليوم بالتوسل وهو ان يدعى غير الله تعالى ويطلب منه شيء ما وإنما هو استسقاء كما تقدم . ويحتجون به من وجه آخر وهو دعاء العباس الذي ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح وهو اللهم انه لم ينزل بلاء الا بذنب ولم يكشف الا بتوبة ، وهو نص في ان كشف الضر لا يكون بسبب الاشخاص وإنما يكون بالتوبة الى الله والرجوع اليه وحده . وفي الحديث روايات لا تصح (لها بقية)